

عراك في معترك أى معترك

للأستاذ زكى طلبات

—*—

هذا للتحدى بالسباب من جانب الأستاذ محمد متولى^(١) ترده

إلى صاحبه

نجن هنا ، على صفحات هذه المجلة للأدب الجرف ولاطم الخالص ، وقد نكون في غيرها لما يريد الأستاذ الجاهل للثقافة . لهذا نقول له إننا نحجم عن ذلك في هذه الصحيفة ، لا إكراماً لشخصه ولا ترفقاً لحاله ، لأن من يقذف للناس بالحجارة من غير مبرر لا يردده ويحسن تأديبه إلا القذف بما هو دون الحجارة ، ولا لأى اعتبار آخر سوى وقار الموضوع الذى تبادلنا الحديث فيه ، وهو موضوع جدير بالرعاية في معالجته على الوجه الصحيح . كشف عن لون جديد من ألوان المعرفة ، وتقرير صنف حديث من أصناف التأليف المسرحى ، نقول إنه موضوع طريف ، أثار وسيتير حوله جدلاً طويلاً منتبهاً في الأفلام وتحتبر المعارف وتسقط الأفتنة المزيفة عن الوجوه ، فيتضح - وليس للمرة الأولى - كيف أن للنقد يجب أن يقوم قبل كل شىء على الخلق الرضى المتواضع لا على التعلّم الزهو غصب ، لأن التعلّم وحده لا يحقق إنتاج الأديب الأسيل الذى يصدر أحكامه عن عقيدة مغلصة في الحق وللمدالة ، وكيف أن الذكاء وهو من سقل التعلّم ، مجرداً عن الخلق العادل ، إنما يكون أداة للتضليل ومعمولاً للشر ، ثم ينهض للبرهان من جديد على أن بعض التعلّم « وإن أذهب عن المائل طيشه ، فإنه يزيد الأحق طيشاً ، كما أن النهار يزيد كل ذى بصر نظراً ، ويزيد الخفاش سوء النظر »

نحن إذن أمام قضية خطيرة للعلم والقراء ولهذا المجلة ، قضية يجب أن يقضى فيها بشريعة الحق وبقسطن العلم ، والدم أمانة ، وذهن القارى أيضاً أمانة لدى الكاتب ، ولدى أستاذنا صاحب هذه المجلة

(١) الرسالة رقم ٣٨١ صفحة ١٥٦٩

لهذا ، ستمضى في أثر الأستاذ متولى مما شاء له أديه

وتعميداً للبراهين التى سنسوقها للتدليل على ما وصفنا به نقد الأستاذ متولى ، نعرض أولاً للباب الموضوع حتى يحسن القارى تفهمه

الرمزية المسخرة أوسع نطاقاً من رمزية « ريبو »

مثار الخلاف أنى دفعت وأى الأستاذ متولى في أن الرمزية التى نحن بصدها في مسرحية « مفرق للطريق » أوسع نطاقاً من الرمزية التى حددها الأستاذ متولى ، نقلاً عن « ريبو » وحده في كتابه (الحياة الملاحية ، الجزء ١٩٠٠)

الأستاذ متولى يقول بلسان (ريبو) : « إن الرمزية في الفن تستخف بتمثيل العالم الخارجى تمثيلاً صادقاً فإذا للناس والأشياء ثمر دون أن تنطبع بزمان أو مكان ، ولكنها تعفى وما تدرى أين حصلت ولا متى ، فلا هى تمت بصلة إلى أى بلد ، ولا هى تمثل عصرًا بذاته » ، ولما كانت (مفرق الطريق) تعرض صوراً عليّة تجرى حوادثها في مصر ؛ وما دام بشر فارس قد أسى بطل مسرحيته (هو) وأسى بطلها (سميره) ، إذن فالمسرحية لا تمت في نظر الأستاذ متولى إلى الرمزية في شىء ، وأنها محاولة مخنقة ، وأن مؤلفها لا يصح له أن يؤلف ، إلى غير ذلك من العبارات التى أصدرها بمراسيم تجعل اسمه للكبير !!!

سجل متولى هذا في أول مقال له فرددنا عليه في مقالنا السابق ١ - بأن (ريبو) واحد ممن كتبوا في علم النفس ، وأن ما أدلى به هذا (ريبو) بصدد الرمزية في الأدب ، قد فات أوانه بعد أن انبسطت للرمزية أطراف جديدة أخذ بها مؤلفون محدثون في تأليف المسرحية وللقصص والشعر ، وذكرنا أسماء لبعض هؤلاء المؤلفين ، وكلهم من المبرزين في عالم الأدب الرفيع أمثال (بيراندللو) ، (جيروودو) ، (حانثيون) ؛ وهم مؤلفو مسرحيات رمزية صميمة لم تنقيد بأراء (ريبو) من حيث الاستخفاف بتمثيل العالم الخارجى وغير ذلك ؛ بل هى مسرحيات تنطبع بزمان ومكان ، وشخصياتها يحملون أسماء كسائر الناس ، وتجرى حوادثها في مدن معروفة . وذلك أن الرمزية المستحدثة أصبحت مدارها

أسماء الأشخاص في المسرحية يعبر عنها أحياناً quelquefois
بـهو أو هي ، أو هم ا

٥ - ثم تساهلنا مع الأستاذ متولى فقلنا إنه على فرض
أن (ريبو) إله في علم النفس ، وأن آراءه في الرمزية لم يشعب
لونها ، وعلى فرض أن العلماء مثل Abel Rey لم تظمن في صحة
موقف (ريبو) في كلامه عن « الاختراع » و « الخيلة »
كما قدمنا ، على فرض كل هذا ، فإنه من الغريب أن يأتي
متولى عام ١٩٤٠ فيفرض على كل كاتب في الرمزية أن يخضع
ما يكتبه فيها لآراء (ريبو) ، فيقول للدكتور بشر فارس
إيا أن تنشئ على آراء (ريبو) وإياها تنشئ لا يمت إلى الرمزية
بصلة ما ا ثم سألناه ، بعد أن قررنا له أن العلم يتقدم والنظريات
تتطور : وما نفع مسامرة الأدب - وفيه الرمزية - للعلم في تقدمه
وفي مستحدثاته ؟

أين موضوعية النقد يا أستاذ ؟

بهذا المنطق الواضح وللبرهان المستقيم دفننا أقوال الأستاذ
متولى ، وهي أقوال اتخذها أساساً لانتقاص مسرحية (مفرق
الطريق) ، فلم يدفع ما أدلينا به بحجة علمية واحدة مع أن ما نحن
بسدده في هذا يؤلف جوهر الموضوع ا

فهل قرأ متولى هذا في مقالنا ولم يفهمه ، أو هو قرأه ووطأ
ثم أستعطه من حسابه في رده علينا خشية أن يبدو أمام القراء
في غيوبة وتباطؤ في التحصيل لا يصح أن يكون عليهما من هو
بإجازة الماجستير ا

لئن كان الأمر الأول فله للذبولنا العزاء ، ولئن كان الأمر
الثاني فيا خيبة الأمل في نزاهة النقد وصدق النفس ا

الرهارب المهزوم ا

بماذا طلع علينا متولى في مقاله الأخير ؟

١ - سبحات في خيال ، ونطحات في جدار ، وسباب
ساقه إلى وإلى بشر فارس يمزى فيه ، كما يمزى - على ما أظن -
بشر فارس ، أنه امتد في غير حياء إلى المستشرق الكبير الأستاذ

الأول استكناه خفايا النفس وبراطن الأشياء ، أو بمعنى آخر
« استنباط ما وراء الحس من المحسوسات الخ » ، كما أورده بشر
فارس في مقدمته لمسرحيته المذكورة

٢ - ولم نكف من هذه الأقوال عند مجرد الرد غضب ، وإنما
أضفنا إلى هذا النقص عند (ريبو) ذكر نقص آخر ، قرره العالم
(أبييل راي Abel Rey) أستاذ تاريخ العلوم وفلسفتها بجامعة
السربرون . وذلك في بحث له عن الاختراع بكتاب
Psychologie لجورج دوماس (صفحة ١٤٤١ للطبعة ١٤ - ٢٠
الجزء الثاني طبعة باريس ١٩٢٤) هذا نصه :

La psychologie de Ribot à ce sujet nous sem-
ble encore trop dominée par la conception automa-
tique et simpliste de l'atomisme mental, bien qu'il ait
insisté — ce qui le rangait parmi les novateurs à
l'époque — sur ce fait que les états associés ne
sont pas simplement juxtaposés, mais qu'ils « se
modifient par le fait même de leur connexion »

وبجمل ترجمته : « يلوح لنا أن علم النفس عند (ريبو)
في مسائل « الخيلة » والاختراع لا يزال تحت تأثير النظرية الآلية
للبيسطة الخاصة بتجزؤ الذهن إلى ذرات متجاورة »

٣ - وأيدنا هذا النقص بذكر تقدم علم النفس في هذه
المسألة بعينها على أيدي الفيلسوفين (وليم جيمس) و(رجسون) ا
(وقيل أن أنتقل من هذه النقطة أرجو القارئ أن يقف
قليلاً أمام هذا النص للفرنسي وبجمل ترجمته فله قصة طريفة
سنوردها بعد قليل ا)

٤ - ولم نكتف بكل هذا ، وهو من صميم العلم الذي
لا ترق إليه للشبهات ، بل رجعنا إلى (ريبو) نفسه في كتابه
المذكور (الخيلة الخلاقة) ووقفنا عند النص الذي انتظمه
الأستاذ متولى ليدعم دعواه في الرمزية ، فوجدنا ، وبالمعجب ،
أن (ريبو) لم يتحرج التحرج الذي أراده متولى ، إذ أنه ،
أي (ريبو) لم يحتم التحتم كله أن تكون الرمزية ممثلة في الإبهام
إذ يقول « إنه كثيراً souvent ما تغلت الرمزية - في عهد
طبعا - من التحديد الزماني والمكاني ، وإذ يقول إن الأسماء ،

